# من أجل مفهوم أدق للاشتقاق

الدكتور عبد الجبار محمد علي
كلية التربية ـ جامعة البصرة
الجمهورية العراقية

اللسان العربي 25
1985

لعل من أهم مزايا علم اللسانيات ، وربما كل العلوم الحديثة ، هو استحداث مصطلحات معينة للاشارة الى مفاهيم محددة اضافة الى تعريف تلك المصطلحات بصورة دقيقة لتشمل ـ قدر الامكان ـ جميع الجوانب المختلفة للظواهر اللغوية قيد البحث .

ومن الظواهر اللغوية التي تناولها علماء اللسانيات بالبحث والتحديد ظاهرتان تتعلقان ببنية الكلمات وتكوينها ، واستخدم اللسانيون للاشارة الى هاتين الظاهرتين مصطلحين هما derivation و inflection . وتوخيا للسهولة في عرض أفكارنا هنا سنستخدم بعض المصطلحات العربية التي يذهب معظم الباحثين مستشرقين وعربا الى أنها مكافئة لهذين المصطلحين . وهكذا سنستخدم مصطلح « الاشتقاق » كمكافئ للمصطلح اللساني derivation في حين سنستخدم مصطلح « التصريف » كمكافئ لمصطلح inflection . وسيكون من أهداف هذا البحث هو التوصل الى ان بحوث « الاشتقاق » ومفهومه لدى معظم الباحثين العرب لا تتطابق في جوانب عديدة مع بحوث ومفهوم الظاهرة اللغوية المصطلح عليها في اللسانيات الحديثة بـ derivation رغم أن الكثير من الباحثين العرب يعتقدون عكس ذلك كما سيتضح لاحقا .

ورغم وجود مصطلحين يشيران الى ظاهرتين لغويتين فان اللسانيين ما زالوا يواجهون بعض الصعوبات في الاتفاق على فروقات واضحة بين هاتين الظاهرتين رغم أن التفريق بينهما أمر أساسي ومفيد في وصف واستبيان اللغات البشرية . وترجع تلك الصعوبات ـ عموما ـ الى سببين أساسيين . الاول يتعلق بالنظرية أو النظريات اللسانية التي يتبناها أو يتأثر بها هذا اللساني أو ذاك . . أما السبب الآخر فهو الطبيعة الخاصة للغة أو العائلة اللغوية التي يقوم اللساني بدراسة جوانبها اللغوية . لكن ذلك لا يعني مطلقا عدم اتفاق اللسانيين على مبادىء عامة للتفريق بين الظاهرتين وسأقوم أولا باستعراض سريع ومبسط لبعض تلك المبادىء ثم التطرق الى مفهوم «الاشتقاق» عند الباحثين العرب حتى يتبين لنا الفرق بين ما يعنيه اللسانيون بالـ derivation وما يعنيه

التغويون العرب « بالاشتقاق » لنتوصل الى بعض الاسس التي توضح مفهوم « الاشتقاق » لسانيا آخذا بنظر الاعتبار خصائص بناء الكلمة العربية ·

لقد اعتمد اللسانيون في التفريق بين «الاشتقاق» و « التصريف » على خصائص اللغات الهندية الاوربية وعلى الاخص اللغة الانكليزية ولذلك فانه من المنطقي أن نرى عدم تطابق بعض من آرائهم مع حقائق اللغة العربية ، فعملية تكوين الكلمات في اللغات الهندية الاوربية تستند ـ غالبا ـ الى عمليات الصاق أجزاء صرفية تدعى المورفيمات morphemes الى جذع الكلمة stem · ويطلق على ذلك النوع من الصرف او تركيب الكلمات « بالصرف السلسلي concatenated morphology»والاجزاء الصرفية الملصقة بالجذوع اما أن تكون على شكل « صدور » أو « سوابق » prefixes . وهي الاجزاء التي توضع قبل الجذع ، أو على شكل « لواحق » suffixes وهي الاجزاء التي توضع بعد الجذع ، أو تكون في أحيان قليلة على شكل « دواخل » infixes وهي الاجزاء التي تدخل بين مكونات الجذع ، لكن بناء الكلمة السامية عموما والعربية خصوصا يختلف كليا عن بناء الكلمات في اللغات الهندية الاوربية ، حيث تعتمد العربية في تكوين الكلمات على تغييرات داخلية تطرأ على جذر الكلمة root وهو الاصوات الثلاثة ( في بعض الاحيان يكون أكثر من ثلاثة أصوات ) على اننا قد نجد حالات صرف سلسلي ، كما هو الحال في حالات الحاق ياء النسب ( ـ ي ) أو ( ـ ية ) في تكوين ما يدعى « بالمصادر الصناعية » من قبيل «اشتراكية»، «انسانية»،«مثالية»·· الخ ، ولكن هنالك حالات أكثر عددا تمثل كلا النوعين من انواع الصرف اي الصرف الداخلي والسلسلي كما في « المصادر الميمية » من قبيل « معجم » و « ملعب » و « مسكن » ·· الخ ·

علينا الآن بعد الذي ذكر عن الخصائص العامة لتركيب الكلمات في اللغات الهندية الاوربية واللغة العربية أن نشير باختصار الى الاسس أو المبادىء التي يستخدمها اللسانيون للتفريق بين ظاهرتي «الاشتقاق» derivation « والتصريف » ·

لقد ذكرنا سابقا بأن اللسانيين عندما يفرقون بين الظواهر اللغوية يتاثرون بصورة كبيرة بالنظرية أو النظريات اللغوية التي يتبنونها · وعليه فاننا سنستعرض بايجاز شديد آراء اللسانيين التركيبيين واللسانيين التحويليين بخصوص الظاهرتين اللغويتين قيد البحث تاركين النظريات اللسانية العديدة الاخرى· ونود أن ننبه هنا الى أن ذلك لا يعني عدم تطابق آراء مؤيدي أي من المذهبين بخصوص هذه المسالة رغم اختلاف مصطلحاتهم وتعبيراتهم ·

يلخص لنا العالم اللساني « نايدا » Nida ( 1949 ص 99 ) آراء المذهب التركيبي أو المذهب غير التحويلي حيث يفرق بين «الاشتقاق» و «التصريف» حسب اسس معينة نورد منها ما يلي :

أ ـ ان التكوينات الاشتقاقية تعود الى نفس الصنف التوزيعي العام general distribution class الذي تعود اليه أبسط وحدة لغوية تركيبا تعود الى ذلك الصنف · فكلمة grandfather الانكليزية مثلا

والمتكونة من "grand" و"father" تعود الى نفس الصنف التوزيعي لكلمة "man" البسيطة التركيب والتي لا تتجزأ الى وحدات صوتية ظاهرة ( انظر Trager ، Bloch ص 54 ـ 55 أيضا ).لا يمكننا استخدام أساس "نايدا" هذا عند بحثنا في اللغة العربية وذلك للاختلاف البيّن بين تركيب الكلمة في اللغتين العربية والانكليزية : حيث ان معظم الكلمات العربية لا يمكن أن تتكون بدون جذر وأجزاء صرفية اخرى وان هناك عددا محدودا جدا من الكلمات العربية التي تخرق هذه القاعدة مثل « يد » و « اب » و « اخ » وهي كلمات ثنائية الجذور وكذلك الكلمات التي دخلت العربية من اللغات الاخرى ولم تتاثر بالتركيب الصرفي العربي أي انها لا تحلل صرفيا الى جذر وغير الجذر كما في «أوكسجين» و «هيدروجين» وغيرهما برغم ان العديد من الكلمات الاجنبية قد تاثر بالصرف العربي وبذلك يمكن تحليلها صرفيا مثل « فلم » التي تجمع « أفلام » و « بنك » التي تجمع « بنوك » .. الخ .

ب ـ ان التكوينات الاشتقاقية تميل الى أن تكون تكوينات داخلية اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار النظام التدرجي linear Order بينما تكون التكوينات التصريفية تكوينات خارجية.لقد أشار الى هذا الاساس العديد من اللسانيين التركيبيين ( أنظر بلومفيلد 1933 ص 222 وشتاين 1977 ص 22 ) . بل لقد اتخذ بعض اللسانيين التحويليين هذا الاساس أيضا كما هو واضح في معالجة ظاهرة تكوين الكلمات في النحو التحويلي من قبل أرونوف Aronoff ( 1976 ص 2 ) الذي يذكر بانه « من الحقيقة القول وانسجاما مع الفرضية المعجمية ( انظر لاحقا ) بان العلامات المميزة الاشتقاقية derivational markers تحاط بالعلامات المميزة التصريفية » .

من الواضح ان هذا الاساس ينطبق على اللغات الهندية الاوربية ولكنه لا ينطبق في معظم الحالات على كلمات اللغة العربية وذلك للبون الشاسع في تركيب الكلمات كما أوضحت سابقا . فالتركيب الصرفي الذي يشير الى العدد أو زمن الفعل في اللغة العربية قد يكون داخليا لاحظ مثلا « كتاب » وجمعها « كُتُب » و « كلب » وجمعها « كِلاب » .. الخ .. وقد يكون مورفيم الجمع خارجيا كما هو الحال في ( ـ ون ) للجماعة .

ج ـ تكون المورفيمات الاشتقاقية كثيرة العدد عكس المورفيمات التصريفية . فما يشير الى الجمع مثلا عدد محدود من المورفيمات تدخل على أسماء غير محدودة العدد بينما ما يشير الى الاسمية عدد اكبر من المورفيمات غير انها لا يمكن أن تدخل على جميع الكلمات أو حتى على معظمها . فلا يمكننا مثلا أن نلحق اللاحقة ( ness— ) وهي لاحقة اشتقاقية في اللغة الانكليزية بجميع الكلمات لتكوين الاسماء لاحظ عدم وجود ableness ولكننا من جهة اخرى ، يمكن أن نضيف اللاحقة التصريفية ( S— ) لمعظم الكلمات التي تشير الى الافراد في اللغة الانكليزية لتكوين الجموع . وهذا ينطبق الى حد كبير على اللغة العربية فهناك طرق صرفية عديدة نستطيع بواسطتها تكوين الاسماء ولكن الطرق الصرفية للجموع محدودة العدد .

د ـ قد تغير الوحدات الصرفية الاشتقاقية من الصنف التوزيعي العام للكلمة general distribution class اي ان الاسم قد يصبح فعلا وبالعكس ( انظر روبنز Robins 1964 ص 251 وغيره ) · ان هذا الاساس قد أدى ببعض اللسانيين التركيبيين ( انظر Marchand 1950 ص 9 ) الى التاكيد بأن « المورفيم التصريفي لا يحمل وظيفة دلالية » · لكن هذا الاساس يناقض في امور عديدة ما ذكر في الاساس آنفا ولذلك فلا حاجة لنا للتعليق عليه · لكنه لا بد من الاشارة هنا الى وجود امثلة في اللغة العربية تكون فيها المفردات متضمنة أجزاء صرفية تشير الى معان مختلفة تماما عن تلك المفردات نفسها في حالة تجريدها من تلك الاجزاء الصرفية ، لاحظ مثلا : بياض ( مفرد ) ـ وبياضات ( جمع ) والفرق بين معنى الجمع الذي يدل على الالبسة ومعنى المفرد كما لاحظ كيف يغير الجزء الصرفي التصريفي الذي يشير الى الجمع من المعنى كما في : « عدّاد » التي تجمع « عدّادون » لتشير الى الناس و « عدّادات » التي تشير الى الاجهزة :

أما وجهة نظر اللسانيين التحويليين في مسألة التفريق بين « الاشتقاق » و « التصريف » فانها تتطلب منا الالمام بالنظرية التحويلية اللسانية التي تتطور يوميا · وهذا أمر لا يسعنا بحثه هنا لضيق المكان ، غير إنه ـ وبقدر تعلق الامر بالقضية اللغوية التي نحن بصددها يمكن لنا أن نقول بأن النظرية التحويلية تقسم النحو ( كمصطلح يشمل النظام اللغوي ككل ) الى قواعد البنية النظمية phrase structure rules وقواعد تحويلية transformational rules ومجموعة للمفردات lexicon اضافة الى العنصر الدلالي semantic component والعنصر الصوتي phonological component .

ينقسم اللسانيون التحويليون بصدد مسألة التفريق بين « الاشتقاق » و « التصريف » الى قسمين : الاول يشمل أولئك التحويليين الذين يحظون العمليات الاشتقاقية ضمن القواعد التحويلية · أما القسم الآخر فيتزعمه مؤسس المدرسة التحويلية الحديثة وزعيمها ناعوم تشومسكي Noam Chomsky ويذهب الى ان العمليات الاشتقاقية يجب أن تدخل ضمن مجموعة المفردات lexicon بينما تدخل العمليات التصريفية ضمن القواعد التحويلية وهكذا عرفت وجهة نظر تشومسكي ومؤيديه بالفرضية المعجمية lexicalist hypothesis .

لقد دافع تشومسكي عن وجهة نظره هذه في بحث نشر عام 1970 بقوله ان العمليات التصريفية عكس العمليات الاشتقاقية تتجاوب مع شرطي القواعد التحويلية · وهذان الشرطان هما الانتاجية productivity والتكهن الدلالي semantic predictabilily ( أي المحافظة على المعنى ) · فنحن كما أوضحنا في الفقرتين ( ج ) و ( د ) آنفا أن نستخدم ( ـ ون ) و ( ـ آت ) لنقوم بعملية الجمع ونطبق ذلك على كلمات لا حصر لها وفي نفس الوقت لا يحصل هناك ( الا ما ندر ) تغيير في المعنى عدا « الجمع » بدل « الافراد » .

ليس بوسعنا هنا الدخول في تفاصيل اكثر تخص صحة او خطأ جانب أو جوانب في كلا النظريتين في المنهج اللساني التحويلي فهذا يتطلب بحثا مطولا في

دقائق النظرية التحويلية . ولكن ما عرضناه على وجازته يحقق غرضنا في توضيح مظاهر من التفريق اللساني الحديث بين ظاهرة « الاشتقاق derivation وظاهرة التصريف inflection.والآن وبعد هذا العرض الوجيز لكلا المفهومين من وجهة نظر اللسانيات نعرج على توضيح مفهوم الاشتقاق عند الباحثين العرب القدامى منهم ( ممثلين بالسيوطي ) والمحدثين لنرى الاختلاف والتشابه ( اذا كان هنالك تشابه ) بين المذهبين .

مفهوم الاشتقاق عند الباحثين العرب :

لقد اهتم الباحثون العرب بالاشتقاق اهتماما كبيرا واعتبروه أهم وسيلة لتكوين المفردات في اللغة العربية ( أنظر ترزي 1968 ص 403 الذي يورد أسماء الكثيرين ممن اهتموا بالاشتقاق ) . حتى ذهب بعضهم من الباحثين الى اعتبار « اللغة العربية لغة اشتقاق » ( أنظر مظهر ص 26 والصافي ص 245 ) . لكننا قبل أن نتناول مفهوم الاشتقاق وتعريفه عند الباحثين العرب لا بد أن نلقي نظرة موجزة على مكانته ضمن طرق تكوين الكلمات حسبما يراه أولئك الباحثون .

يذكر مظهر خمسة وسائل لتكوين الكلمات في اللغة العربية وهي : التعريب والنحت والاشتقاق والزيادة والاقتباس . أما مصطفى الشهابي فيتخذ من الوسائل التالية طرقا لتكوين الكلمات في العربية : وسائل الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب . أما أحمد حسن الزيات فقد عرض آراءه على مجمع اللغة العربية في القاهرة وذكر من وسائل تكوين الكلمات في اللغة العربية الارتجال والاشتقاق والتجوز .

وبغض النظر عن الغموض الذي يحيط بمثل تلك الوسائل ورغم اختلاف هؤلاء الباحثين في وسائل تنمية مفردات اللغة العربية فان جميع الباحثين يذكرون أن « الاشتقاق » وسيلة مهمة من تلك الوسائل . لكننا اذا ما بحثنا عن تعريف للاشتقاق عند هؤلاء أو غيرهم فاننا سنرى اختلافات واضحة بين تعريفاتهم . ولعل السبب الرئيسي في ذلك يعود الى اختلاف وسائل تنمية مفردات العربية ، والاشتقاق أحدها ، التي يتخذها هذا الباحث أو ذاك ، وكذلك لاختلاف « أنواع » الاشتقاق عندهم كما سنرى لاحقا .

وقد يعثر الباحث في تعريف « الاشتقاق » على تعريف عام يقدمه بعض الباحثين دون أن يتطرقوا الى « أنواعه » . ومثال على ذلك تعريف عبد الله أمين ( 1956 ص 1 ) الذي يؤكد على دور « الاشتقاق » كعلم يمكننا بموجبه تعريف أصول الكلمات وفروعها والعلاقة بينها وطرق صياغة بعضها من بعض .

ويقدم لنا حسن حسين فهمي ( 1957 ص 324 ) تعريفا مشابها حين يذهب الى أن الاشتقاق عملية أخذ لفظ من آخر حتى وان تم ذلك عن طريق المجاز رغم الاتفاق في المبنى الاصلي والحروف الاصلية وترتيبها بحيث يشير اللفظ المشتق الى معنى اللفظ المشتق منه بزيادة مفيدة.وللحصول على ذلك فان كليهما قد يختلفان في الصيغة .

ويمكننا اعتبار حسن فهمي ممثلا لفقهاء اللغة

المحدثين ولكن تعريفه للاشتقاق لا يخالف ذلك الذي ذكره السيوطي في « المزهر » . فالسيوطي يقدم « نوعين » من الاشتقاق : « اشتقاق أصغر » و « اشتقاق أكبر » . وقبل الخوض في بعض تفاصيل نوعي الاشتقاق اللذين ذكرهما السيوطي نود التنبيه الى أننا سوف نقارن ما ذكره الباحثون المحدثون بها .

يعرف السيوطي ( ج 1 ص 246 ) « الاشتقاق الاصغر » كما يلي :

« الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية ، وهيئة تركيب لها ، ليدل بالثانية على معنى الاصل . بزيادة مفيدة ، لاجلها اختلفا حروفا أو هيئة ، كضارب من ضرب ، وحَذِرٌ من حَذِر » .

أما تعريفه للنوع الثاني ، أي « الاشتقاق الاكبر » فيقدمه بصورة مقارنة « للاشتقاق الاصغر » . فالاختلاف بين النوعين هو « أن يحفظ فيه المادة دون الهيئة » أي انه بينما يحافظ على أصوات الجذور وترتيبها في «الاشتقاق الاصغر» فان ترتيب ذلك الاصوات يكون مختلفا في « الاشتقاق الاكبر » . ويعطينا السيوطي ستة احتمالات لتقلبات ممكنة في أصوات الجذر مثال ذلك : « ولق » ، « وقل » ، « قلو » ، « لوق » ، « قول » وكل تلك تحمل ، كما يظن السيوطي ، المعنى العام « الخفة والسرعة » . ولنحاول قبل التعليق على آراء السيوطي أن نستكشف أمورا أخرى بخصوص « الاشتقاق » عنده وذلك لاننا وكما ذكرنا سابقا وجدنا بأن الكثير من الباحثين يتبنون أفكاره رغم اختلاف المصطلحات التي يستخدمونها .

يصف السيوطي الاختلافات بين « الاصل المشتق منه » و « الفرع » ( أنظر تعريفه السابق للاشتقاق الاصغر ) بصورة « تغييرات » ويورد خمسة عشر نوعا من هذه « التغييرات » وبقدر تعلق الامر ببحثنا هنا يمكن أن نشير الى بعض منها :

1 ـ زيادة حركة مثل عِلْمٌ ، عَلِمٌ

2 ـ زيادة مادة مثل طَلَبَ ، طالِبٌ

3 ـ زيادتهما مثل ضَرْبٌ ، ضارِب

4 ـ نقصان حركة مثل فَرَسٌ ، فَرْسٌ

5 ـ نقصان مادة مثل ثبات ، ثَبْتٌ

6 ـ نقصانهما مثل نَزَا ونزوان

7 ـ نقصان حركة وزيادة مادة مثل غَضَبٌ ، غَضْبٌ

8 ـ تغيير الحركتين مثل بَطِرٌ ، بَطَرا

يعكس حسن حسين فهمي كغيره من الباحثين العرب التصنيف الذي وضعه السيوطي للاشتقاق وأنواعه ولكنه يستخدم المصطلحات « اشتقاق صغير » أو « مطرد » ليقابل مصطلح السيوطي « اشتقاق أصغر » و « اشتقاق كبير » ليقابل مصطلح السيوطي « الاشتقاق الاكبر » . ولقد ذكرنا تعريف فهمي « للاشتقاق الصغير» آنفا . أما عن نمطه الثاني أي « الاشتقاق الكبير » فيمكن أن يقسم الى صنفين ثانويين : الاول اشتقاق كبير يماثل « الاشتقاق الاكبر » للسيوطي حيث يعطينا فهمي تقلبات اصوات الجذر ج د د مثلا ( أي جند . دجن .. الخ ) حيث يذهب الى انها جميعا تعني «القوة» .

اما الصنف الثاني من اصناف « الاشتقاق الكبير»، حسب رأي فهمي فهو عندما لا يكون هنالك تغيير في ترتيب أصوات الجذر حسب ( أي كما في « الاشتقاق الاكبر » للسيوطي ) بل يتعداه الى تشابه اللفظتين ، أي « الاصل » و « الفرع » في النطق ولكنهما تختلفان في واحد من أصوات الجذر كما في نعق ، زعق ، نهق .. الخ .

ويقدم لنا وافي ( 1956 ص 172 ) : الانواع الاشتقاقية لفهمي ولكنه يستخدم مصطلحات أخرى . فبينما يبقي على « الاشتقاق الصغير » لفهمي ( أي « الاشتقاق الاصغر » للسيوطي ) مسميا اياه بـ « الاشتقاق العام » فانه يوسع من « الاشتقاق الكبير » لفهمي ويقسمه الى قسمين . ولذلك فاننا امام ثلاثة أنماط للاشتقاق حسب رأي وافي :

1 ـ « الاشتقاق العام » = « الاشتقاق الصغير » ( فهمي ) = « الاشتقاق الاصغر » ( السيوطي ) ويمثل لنا وافي هذا الاشتقاق بـ : عَلِمَ ، عَلِمْنا ، عَلِموا ، عُلِمَ ، مُعلَّم ، تعلَّموا .. الخ .

2 ـ « الاشتقاق الكبير » = الصنف الاول من « الاشتقاق الكبير » ( لفهمي ) = « الاشتقاق الكبير » ( لفهمي ) = « الاشتقاق الاكبر » ( للسيوطي ) . أي ان الاختلاف في ترتيب أصوات الجذر فقط مع الابقاء عليها .

3 ـ « الاشتقاق الاكبر » = الصنف الثاني من « الاشتقاق الكبير » ( لفهمي ) ولا يعادله شيء عند السيوطي . ويعني وافي بهذا النوع من الاشتقاق الالفاظ التي تتضمن صوتين متطابقين من أصوات الجذر ومعنى متشابها ولكنها تختلف في الصوت الثالث ( والذي يكون في معظم الحالات من نفس المخرج ) ومثال ذلك : هانك وعالك ، هدر وهدل .

وقبل أن نتناول بالنقد والتحليل بعض أوجه « الاشتقاق » كما ورد عند الباحثين العرب الآنف ذكرهم علينا أن نشير الى نظام « متطرف » للاشتقاق ورد في بعض بحوث « الاشتقاق » العربية . فعبد الله أمين الذي اشرنا الى تعريفه للاشتقاق سابقا ، يختلف عن الباحثين العرب في ذهابه الى اعتبار « النحت » ( وهو ما يعتبره بعض الباحثين العرب مكافئا لمصطلح «التركيب» Compounding في اللغات الهندية الاوربية) نوعا من أنواع الاشتقاق ويسميه « الاشتقاق الكبّار ».

بعد هذا الاستعراض السريع لتعاريف ومعالجة « الاشتقاق » في الدراسات العربية لا بد أن ننبه الى حقيقة ان ما اوردناه لا يمثل كل ما هو موجود من بحوث اشتقاقية ولكنه يمثل الغالبية العظمى لمنحى الدراسات العربية . فقد نرى هنا وهناك دراسات تحاول التفريق منهجيا وعلميا بين ظاهرتي « الاشتقاق » و «التصريف» ولكن تلك الدراسات تقع في احيان كثيرة في خطأ الخلط بين تلك الظاهرتين ( أنظر مثلا ابراهيم أنيس والترزي والصافي ص 245 وما بعدها ) . والقضية التي تطرح نفسها للبحث هنا هي ما هي الفروقات بين الدراسات العربية « للاشتقاق » والدراسات اللسانية له وهل بالامكان جعل مفهوم الاشتقاق اكثر وضوحا عند دراسته في اللغة العربية ؟

ان مقارنة مفهوم وتعريف « الاشتقاق » عند الباحثين العرب ومفهومه عند اللسانيين يعطي الانطباع الواضح بانه ليس هنالك تطابق بينهما · فالنظرة المتمعنة لكلا المذهبين ستظهر لنا انه بالرغم من وجود بعض اوجه التشابه بينهما الا أن هنالك اختلافات كثيرة واضحة · فمعالجات جميع أنواع « الاشتقاق الكبير » في البحوث العربية المار ذكرها بعيدة في نواح كثيرة عن العلمية والموضوعية ، فجميعها تعطي للقيمة الصوتية phonoaestnetic value والرمزية الصوتية sound symbolism للاجزاء الصوتية اكثر مما يستحقانه علميا · فنحن لا ننكر بانه قد توجد أهمية ما لقب أصوات الجذر رغم أننا لا نستطيع مطلقا الجزم في ماهية العلاقة بين شكل القلب ووظيفته دون الاعتماد على دراسات تاريخية تأثيلية للمفردات · لكنه ليس من المقبول علميا أن نخرج من ذلك بتعميم ينص على ان الكلمات العربية التي تتضمن صوتي جذر متطابقين تحمل معان متشابهة بغض النظر عن ترتيب أصوات الجذر « اضافة الى ذلك ، بينما تكون دراسة الرمزية الصوتية والقيمة الجمالية للاصوات من الامور المهمة في دراسة اللغات البشرية الا انهما ليستا من القضايا الحساسة لدراسة ظاهرة الاشتقاق لسانيا وبالتاكيد فانهما لا تعتبران من « أنواع » الاشتقاق على اية حال ·

لكن الباحث المنصف قد يميل الى اعتبار بعض الجوانب مما ورد في معالجة السيوطي « للاشتقاق الاصغر » كامور تتلاقى مع بحوث الاشتقاق في اللسانيات مع تحفظات عديدة منها ما يلي :

أولا : اذا ما تفحصنا مجموعة « التغييرات » التي وردت في معالجة السيوطي « للاشتقاق الاصغر » فاننا سنلاحظ بانه لا يوجد أساس تزامني ( عكس تاثيلي ) Synchronic basis يمكن لنا بموجبه ان نبرر اتجاه العملية الاشتقاقية ( أنظر ماثيوز 1974 ص 130 ـ 131 ) · بمعنى آخر اذا ما تركنا البراهين التاثيلية فلماذا لا نرى العملية الاشتقاقية بالاتجاه المعاكس ويصبح الاصل الاشتقاقي فرعا ؟ أي لماذا يذهب السيوطي وغيره من الباحثين العرب المحدثين الى تعميم اتجاه واحد للاشتقاق ويعتبرون كلمة عَلِمَ أصلا لِعلِم مثلا وليس العكس ؟

ثانيا : ان ما ورد في معالجة الاشتقاق الصغير « و « الاشتقاق الاصغر » احتوت على مظاهر لغوية يعتبرها اللسانيون مظاهر تصريفية inflectional وليست اشتقاقية · فمعالجة واقي « للاشتقاق العام » ( وهو يساوي « الاشتقاق الصغير » و « الاشتقاق الاصغر » كما أوضحنا ) وكذلك التغيير السابع من « تغييرات » السيوطي خير مثالين على ذلك · فواقي يدخل مظاهر لغوية تشير الى « العدد » number « والجنس » gender في الاشتقاق كما في عَلِم ، عَلِمْنا ، نَعْلم ، عَلِمَتْ ·· الخ ( أنظر الصافي ص 245 ـ وما بعدها الذي يقع في نفس الخلط ) ·

ورغم ذلك استمرت دراسات عديدة في نفس المنحى دون الانتباه الى اهمية التفريق بين تلك الظاهرتين اللغويتين · ولعل آخر دراسة أطلع عليها كاتب هذا البحث اطروحة للدكتوراة تقدم بها عبد الصاحب محمد علي الى مدرسة الدراسات الشرقية

والافريقية ـ ونشرت ككتاب بعد ذلك · فبعد ان يعرف « الاشتقاق الصغير » كاشتقاق كلمة من أخرى على أن تكون كلا الكلمتين محافظتين على نفس ترتيب اصوات الجذر وتشيران الى نفس المعنى العام » يؤكد لنا الباحث بانه « سيتبع » ( في دراسته للاشتقاق كوسيلة من وسائل تنمية مفردات العربية ) الاشتقاق الصغير وذلك لانه ( أي الاشتقاق الصغير ) عكس الانواع الاخرى ، فقد استمر كأحسن طريقة لتنمية مفردات اللغة العربية ( أنظر ترزي وأنيس أيضا ) ·

ان مثل هذا المنهج في دراسة الاشتقاق في اللغة العربية يبقى غامضا · فالمعالجة العلمية للاشتقاق في اللغة العربية تقتضي اعتبار الجذر ( أي الاصوات الثلاثة ) root · كقاعدة اشتقاقية عامة derivational base تشتق منها جميع الاشكال الكلمية · وقد يؤدي هذا الى الاعتقاد بأن جميع مفردات اللغة العربية مشتقة · لكنه يجب علينا أن نفرق بين الرابطة الموجودة بين مفردتين تتضمنان نفس أصوات الجذر وتشيران الى معنى مشترك ورابطة أخرى توجد بين مفردة ما تشكل قاعدة اشتقاقية وجذرها الثلاثي· وقد سميت مثل تلك الرابطة الاخيرة بـ « الاشتقاق الاولي أو الاساس » · primary derivation

(أنظر Cowell 1964 ص 47 ) فكما ذكر « كاول » ان الجذر ليس بالاب ، ولا هو بالسلف للمفردات التي تتضمنه والتي تحمل معنى مشتركا ولكنه الصورة العائلية لها أي انه يحدد أن تلك المفردات تشكل مجموعة شكلية واحدة · وهكذا فاننا قد نقرر ـ مثلا ـ بأن مفردة ما هي اسم مشتق عندما تكون امامنا مفردتان تتضمنان نفس الجذر ( وبنفس ترتيب اصواته ) ومعنى مشتركا ولكن احداهما تختلف عن الاخرى صرفيا وذلك لانها تحتوي على مورفيم اشتقاقي تفتقده المفردة الاخرى · وهنالك على أية حال شرط آخر قبل ان نجزم بذلك وهذا الشرط هو ان يكون الفرق بين المفردتين ( سواء كان معنويا أو نحويا ) وظيفة منتظمة لهذا المورفيم الاشتقاقي · وبالطبع يجب أن تلاحظ تلك الوظيفة في الفاظ أو حالات عديدة أخرى · ولكن ذلك لا يعني بالضرورة بأن أي لفظ مشتق آت من لفظ آخر كقاعدته الاشتقاقية كما انه ليس ضروريا أن يكون مرتبطا بصورة اكثر وثوقا بتلك اللفظة ( أي القاعدة الاشتقاقية ) من غيرها من الالفاظ التي تتضمن نفس الجذر والمعنى المشترك · ولكنه يعني وببساطة بانه يمكن أن نصف الصنف Class الذي تنتمي اليه اللفظة المشتقة بصورة افضل بموجب صنف اللفظة التي تشكل قاعدتها الاشتقاقية ·

اما بخصوص عدم امكانية تطبيق بعض المبادئ التي وضعها اللسانيون عند تفريقهم بين ظاهرتي الـ "derivation" و الـ "inflection" على اللغة العربية فان علينا ملاحظة ان اللغة العربية ، كاية لغة بشرية حية اخرى يمكن أن ينظر اليها كنظام لاصناف مترابطة نوعا ما related classes لعناصر متشابكة · فقد يلاحظ الباحث بان بعض تلك الاصناف تحافظ على شخصيتها الشكلية formal indentity لدرجة كبيرة بينما تضيع وتتشابك الحدود بين أصناف أخرى · وعليه فان ضمن « منطقة التصريف » inflection قد يضاف الباحث عناصر لا يمكن الا ان تصنف كعناصر تصريفية · ومن امثلة ذلك في اللغة العربية موزفيمات

أو علامات الحالات الاعرابية أي الاصوات التي يرمز لها كتابة بالضمة للفاعلية والفتحة للمفعولية والكسرة للجر وتدخل ضمن ذلك أيضا صيغ الافعال الاعرابية كالسكون والضمة والفتحة ويدخل ضمن منطقة التصريف أيضا التانيث والتذكير والتثنية والجمع .

ولكننا قد نلاحظ بان هنالك عناصر صرفية محسوبة على منطقة التصريف يمكن ان تفسر في الوقت نفسه على أنها عناصر اشتقاقية . وخير مثال على ذلك في اللغة العربية التاء المربوطة ( ة ) . فهي قد تشير الى التانيث ولكنها قد تكون في نفس الوقت عنصرا صرفيا اشتقاقيا كما في مكتب ( مذكر ) ـ مكتبة ( مؤنث ) مثلا .

أ ـ المصادر العربية :


ـ أمين ، عبد الله ( 1956 ) : **الاشتقاق** . القاهرة . لجنة التاليف والنشر والترجمة .

ـ أنيس ، ابراهيم ( 1951 ) : **من أسرار اللغة** ، القاهرة ، مكتبة الانجلو ـ المصرية .

ـ ترزي ، فؤاد ( 1969 ) : **الاشتقاق** . بيروت ، مطبعة دار الكتب .

ـ نبمي ، حسين ( 1957 ) : **المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية** ، القاهرة ،

ـ السيوطي ، جلال الدين : **المزهر في علوم اللغة وانواعها** . تحقيق محمد جاد المولى وآخرين ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ( بدون تاريخ ) .

ـ الشهابي ، مصطفى ( 1965 ) : **المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث** . دمشق . مطبوعات المجمع العلمي العربي .

ـ الصافي ، عبد الباقي ( 1970 ) : دراسة مقارنة للكلمة في العربية والانكليزية **مجلة كلية الآداب ، جامعة** البصرة ـ عدد 4 ، 5 .

ـ مظهر ، اسماعيل ( بلا تاريخ ) **تجديد العربية بحيث تصبح وافية لمتطلبات العلوم والفنون** . القاهرة . مكتبة النهضة العربية .

ـ وافي ، علي عبد الواحد ( 1956 ) : **فقه اللغة** . دمشق مطبعة جامعة دمشق .


---

ب ـ المصادر الاجنبية :


— Aronoff, M (1976) **Word - Formation in Generative Grammar** Cambridge : MIT Press

— Bloch, B. & G. Trager (1942) **Outline of Linguistic Analysis** Baltimore : Linguistic Society of America (Special Publications)

— Bloomfield. L. (1933) **Language.** N. Y : Holt, Riuehard and Winston.

— Chomsky, N. (1970) **Remarks on Nominalization** Jacobs, R. & P. Rose - baum, **Readings in English Transformatical Grammar.** Walthan, Mass : Ginn & Co., PP 184-221

— Cowell, M. W (1964) **A Reference Grammar of Syrian Arabic (based on the dialect of Damascus)** Washington, D. C : Georgetown University Press.

— Gleason, H. A (1955) **An Introduction to Descriptive Linguistics.** London ; Holt , Rinehart and Winston.

— Hockelt, C.F. (1958) **A Course in Modern Linguistics.** N.Y : Macmillan.

— Marchand, H. (1969) **The Categories and Types of Present - day English Word - Formation.** München : C. H. Beck.

— Matthews, P. (1974) **Morphology : An Introduction to the Theory of Word - Structure.** Cambridge University Press.

— Nida, E (1949) **Morphology, the Descriptive Analysis of Words.** Ann Arbor , The University of Michigan Press.

— Stein, G (1974) "The Place of Word - Formation in Linguistic Description", in Beckle H. and D. kastovsky (eds). **Perspektiven der wortbildung sfoschung** P.P. 219. 235.